بسم الله الرحمن الرحيم

أَنوَارُ الهِجْرَة النَّبَوِيَّة

الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَظْهَرَ دِيْنَهُ في سَائِرِ البِلاَدِ وَرَفَعَهُ، وَحَمَاهُ مِنْ كُلِّ مَنْ آذَاهُ وَمَنَعَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، القَائِلُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ، إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ، وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[1]، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَخْرَجَ اللهُ بِبِعثَتِهِ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَجَعَلَ فِي هِجْرَتِهِ دَرْسًا فِي حُسْنِ التَّوَكُّلِ وَتَرتِيبِ الأُمُورِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ الأَطْهَارِ، وَكُلِّ مَنِ اهتَدَى بِهَدِيهِ مِنَ المُؤْمِنِينَ الأَخْيَارِ.

أَمّا بَعْدُ، فَيا مَعْشَرَ المؤمِنِينَ: اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنتُمْ مُسلمُونَ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيْعًا وَلا تَفَرَّقُوا، واذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مَطلَعَ كُلِّ عَامٍ لِيُعِيْدَ إِلى ذَاكِرَةِ الأُمَّةِ الإِسْلاَمِيَّةِ في مَشْرِقِهَا وَمَغْرِبِهَا، ذِكْرَيَاتٍ مُضَاءَةً بِالنُّوْرِ وَالأَمَلِ، ذِكْرَيَاتٍ تَحْمِلُ في طَيَّاتِهَا تَحْرِيرَ الإِنْسَانِيَّةِ مِنَ الخَوْفِ وَالظُّلْمِ وَالضَّلاَلِ، فَبَيْنَمَا كَانَ العَالَمُ يَمُوجُ في ظُلُمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَيَغْرَقُ في طُوفَانٍ مِنَ الأَطْمَاعِ وَالأَحْقَادِ، حَيْثُ الحُقُوقُ مُهْدَرَةٌ، وَالحُرِّيَّاتُ مُقَيَّدَةٌ، وَالكَرَامَةُ مُهَانَةٌ، بَيْنَمَا الحَالَةُ كَذَلِكَ أَشْرَقَتْ عَلَى العَالَمِ أَنْوَارُ البِعْثَةِ المُحَمَّدِيَّةِ، وَسَرَتْ فِي الكَوْنِ أَنَسَامُ السَّلاَمِ، وَغَرَّدَتِ الحَمَائِمُ تَشْدُو بِمَقْدَمِ نُورِ الظَّلاَمِ، وَمِسْكِ الخِتَامِ، الَّذِي يَحْمِلُ إِلَى الكَوْنِ دِيْنَ الإِسْلاَمِ، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[2]، إِلاَّ أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَرُقْ لِقُرَيْشٍ وَمَنْ عَلَى شَاكِلَتِهَا، فَأَعلَنَتْ لِلرَّسُولِ ﷺ وَلِصَحَابَتِهِ الحَرْبَ وَالعَدَاءَ، وَآذَوْهُمْ بِمَا يَمْلِكُونَهُ مِنْ أَصْنَافِ التَّعْذِيبِ أَشَدَّ الإِيْذَاءِ، وَالمُؤْمِنُوْنَ عَلَى ذَلِكَ صَابِرُوْنَ، وَلِمَا عِنْدَ رَبِّهِمْ رَاجُونَ، وَلِوَعْدِهِ تَعَالى مُنْتَظِرُونَ حَتَّى جَاءَ الفَرَجُ، فَأَذِنَ اللهُ

---

(1) سورة الصافات / ١٧١-١٧٣ .

(2) سورة الأنبياء / ١٠٧ .

لِلْمُؤمِنِيْنَ بِالْهِجْرَةِ إِلى المَدِيْنَةِ المُنَوَّرَةِ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾(١).

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ :

لَيْسَتِ الهِجْرَةُ أُسْطُورَةً نَتْلُوهَا فِي المَحَافِلِ أَوْ نُرَدِّدُهَا فِي المُنْتَدَيَاتِ، ولَكِنَّ الَّذِي يَعْنِينَا هُوَ مَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ مِنْ سُمُوِّ الفِكْرَةِ وَعُمْقِ الإِيْمَانِ وقُوَّةِ اليَقِينِ، إِذِ الغَرَضُ مِنْهَا أَنْ نَنْظُرَ إِلى جَوْهَرِهَا ومَا تَهْدُفُ إِلَيْهِ مِنْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الكَرْبَ إِذَا اشْتَدَّ هَانَ، وَأَنَّ اللهَ مَعَ المُؤمِنِينَ نَاصِرُهُمْ ومُؤَيِّدُهُمْ، فَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾(٢)، فَفِي ظِلاَلِ الإِسْلاَمِ جَمَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَولَ مَائِدَةِ القُرْآنِ رِجَالاً ونِسَاءً شِيْبًا وشَبَابًا صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ، وَأَخَذَ – عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ – يَبْعَثُ فِيْهِمُ الأَمَلَ، ويُؤَاخِي بَينَهُمْ بِرِبَاطِ العَقِيدَةِ ويَحُثُّ عَلَى التَّعَارُفِ، ويَنْشُرُ الفَضَائِلَ ويُحَارِبُ الرَّذَائِلَ، فَوَحَّدَتْ هَذِهِ المُبَادِئُ نُفُوسًا مُطْمَئِنَّةً آمَنَتْ بِاللهِ حَقَّ الإِيْمَانِ، وسَارَتْ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

نَعَمْ لَقَدْ كَانَتِ الهِجْرَةُ مَدْرَسَةً لِلتَّرْبِيَةِ الإِنسَانِيَّةِ، فَجَّرَتْ في قَلْبِ الأُمَّةِ يَنَابِيعَ الرَّحْمَةِ وَالنُّبْلِ، فَانطَلَقَ فِيهِمْ صَوتُ الأُخُوَّةِ وَالتَّعَاطُفِ وَالتَّرَاحُمِ، وَمَا أَحْوَجَ أُمَّتَنَا اليَومَ إِلى هَذِهِ المَبَادِئِ السَّامِيَةِ وَالقِيَمِ الرَّاقِيَةِ، الَّتِي لَوْ أَصْبَحَتْ شِعَارَ المُسْلِمِينَ في الحَيَاةِ؛ فَسَيَخْتَفِي الحِقْدُ وَالحَسَدُ مِنْ أَوْسَاطِهِمْ لِيَحُلَّ مَحَلَّهُ الوُدُّ وَالمَحَبَّةُ وَالصَّفَاءُ، فَيَغْدُو المُجْتَمَعُ مُجتَمَعًا أَسَاسُ التَّفَاضُلِ فِيْهِ تَقْوَى اللهِ تَعَالى وَالعَمَلُ الصَّالِحُ، يَلْتَقِي أَفْرَادُهُ عَلَى دُرُوبِ الخِدْمَاتِ الإِنسَانِيَّةِ، الغَنِيُّ يَعْطِفُ فِيهَا عَلَى الفَقِيرِ وَيُسَانِدُهُ، وَالقَوِيُّ يَأْخُذُ بِيَدِ الضَّعِيْفِ وَيُسَاعِدُهُ، رَائِدُهُمْ فِي ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (٣).

---

(١) سورة الأنفال / ٣٠ .

(٢) سورة غافر / ٥١ .

(٣) سورة الحجرات / ١٠ .

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

إِنَّ رَسُولَ ﷺ – وَهُوَ قُدْوَتُنَا الحَسَنَةُ – اسْتَطَاعَ بِقُرآنِ اللهِ وكَلِمَاتِهِ أَنْ يَضَعَ عَالَمًا جَدِيْدًا، يَهتَزُّ نُضْرَةً وَيَتَأَلَّقُ عَظَمَةً، ويَتَفوَّقُ اقتِدَارًا؛ كَمَا اسْتَطَاعَ أَصحابُهُ أَنْ يُضِيئُوا الضَّمِيْرَ الإِنْسَانِيَّ بِحَقِيقةِ التَّوحِيدِ، ويَمحُوا مِنْهُ وَثَنِيَّةَ القُرُونِ؟ فَلْيَتَعَلَّمِ الْمُسْلِمُ مِنْ دُرُوسِ الهِجرةِ البَذْلَ الَّذِي بَذَلُوهُ، وَالعَنَاءَ الَّذِي احتَمَلُوهُ، وَالدَّورَ الجَلِيْلَ الَّذِي نَهَضُوا بِهِ لِتَحْرِيْرِ البَشَرِيَّةِ كُلِّهَا مِنْ وثَنِيَّةِ الضَّمِيْرِ، وَضَيَاعِ المَصِيرِ، فَالعَظَمَةُ البَاهِرَةُ الَّتِي نَرَاهَا فِي شَخْصِ رَسُولِ اللهِ وَفِي أَصْحابِهِ لَيْسَتْ أَسَاطِيْرَ، إِنَّهَا حَقَائِقُ تُشَكِّلُ كُلّ مَا كَانَ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ ومِنْ أَصْحَابِهِ مِنْ تَضْحِيَةٍ ومُجَاهَدَةٍ، وإِنَّها لَتَسْمُو وَتَتَأَلَّقُ، لا بِقَدْرِ مَا يُرِيدُ لَهَا الكُتَّابُ وَالواصِفُونَ، بَلْ بِقَدرِ مَا أَرَادَ لَها أَصْحَابُهَا وذَوُوهَا، وبِقَدرِ ما بَذَلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ مِنْ جُهْدٍ مَبْرُورٍ مِنْ أَجْلِ إِعْلاءِ كَلِمَةِ الحَقّ.

فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، ولْتَجْعَلُوا مِنْ هَذِهِ الذِّكْرَى انطِلاقَةَ حَضَارَتِكُمْ لِتُكْمِلُوا مَسِيرَةَ البِنَاءِ الَّذِي بَدَأَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، حَضَارَةً شُيِّدَتْ عَلَى الخُلُقِ العَظِيمِ وَالسُّلُوكِ المُسْتَقِيمِ، وَالتَّوَاصُلِ مَعَ الأُمَمِ وَالشُّعُوبِ، ونَبْذِ كُلِّ أَشْكَالِ الكُرْهِ وَالحِقْدِ، وَأَرُوا الإِنْسَانِيَّةَ الجَانِبَ المُشْرِقَ لأُمَّةِ الإِسْلامِ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

الحَمْدُ للهِ النَّافِذِ أَمْرُهُ، الدَّائِمِ إِحسَانُهُ، الوَاجِبِ حَمْدُهُ وشُكرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، الَّذِي أُوذِيَ فِي اللهِ، وهَاجَرَ فِي سَبِيْلِ اللهِ، فَأَيَّدَهُ اللهُ بالنَّصْرِ والتَّأْيِيدِ فِي كُلِّ خُطَاهُ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَذِيْنَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ، أُولئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وأُولئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

إِنَّ العَالَمَ الإِسلامِيَّ كُلَّهُ، قَدِيْمَهُ وحَدِيْثَهُ، لَمَدِيْنٌ لِهَذِهِ الهِجْـرَةِ المُحَمَّدِيَّـةِ، وَإِنَّ تَـارِيخَ الإِسلامِ والمُسلِمِينَ لَهُوَ امتدَادٌ لأَحْدَاثِ تِلكَ الهِجْرَةِ، ومَعَالِمُ عَلَى طَرِيقِهَا، فَمَا أَذَّنَ مُـؤَذِّنٌ، وَلا دَعَا دَاعٍ، إِلاَّ هُوَ ثَمَرَةٌ مِنْ دَوْحَةِ تِلكَ الهِجْرَةِ ودَرْسٌ مِـنْ دُرُوسِـهَا الَّتِـي رَسَـمَ ﷺ خُـطَّتَـهَا، وثَـبَّـتَ مَبَادِئَهَا، وَأَسَّسَ قَوَاعِدَهَا. وَإِنَّهُ لَجَدِيْرٌ بِنَا مَعَاشِرَ المُسلِمِينَ أَنْ نَستَلهِمَ مِن تِلكَ الدُّروسِ مِنْهَاجَ حَيَاةٍ نَسِيْرُ عَلَى نَهْجِهِ وَنَقْتَفِي أَثَرَهُ لأَنَّ الهِجْرَةَ اليومَ لَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلا جِهَادُ النَّفْسِ: يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: ((المُؤمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ، وَالمُسلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسلِمُونَ مِـنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ)). مِمَّا يَستَدعِي وَنَحْنُ نَحْتَفِي بِسَنَةٍ هِجْرِيَّةٍ جَدِيدةٍ أَنْ نَنْفَتِحَ عَلَى المُجْتَمعِ الإِنسانِيِّ بِمَبادِئِ الإِسْلامِ وَتَعَاليمِ القُرآنِ وسُنَّةِ خَيْرِ الأَنَامِ.

فَاتَّقُوا اللهَ –عِبَادَ اللهِ–، وَخُذُوا مِنْ حَادِثَةِ الهِجْرَةِ الدُّرُوسَ وَالعِبَرَ مِمَّا يُعِينُكُمْ عَلَى النَّجَاحِ فِي حَيَاتِكُمْ، وَاعلَمُوا أَنَّ خَيْرَ مَا نَستَفْتِحُ بِهِ عَامَنَا الجَدِيدَ مَا نَدَبَنَا إِلَيْهِ نَبِيُّـنَا الكَرِيمُ ﷺ مِـنْ صِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ وَصِيَامِ يَوْمٍ قَبْـلَهُ أَوْ بَعْدَهُ، وَفِي المُسنَدِ لِلإِمَامِ الرَّبِيعِ مِنْ حَدِيثِ ابـنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ((مَنْ صَامَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ كَانَ كَفَّارَةً لِسِتِّينَ شَهْرًا، أَوْ عِتْقَ عَشْرِ رِقَابٍ مُؤْمِنَاتٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ)).

هَذَا وَصَلُّوْا وَسَلِّمُوْا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِيْنَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِيْنَ، فَقَدْ أَمَـرَكُمُ اللهُ تَعَـالَى بِالصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلِيْمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾(١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، وبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، فِي العَالَمِيْنَ إِنَّكَ حَمِيْدٌ مَجِيْدٌ، وَارْضَ

(١) سورة الأحزاب / ٥٦ .

اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِيْنَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِيْنَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِيْنَ، وَعَنْ المُؤْمِنِيْنَ وَالمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُوْمًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُوْمًا، وَلا تَدَعْ فِيْنَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُوْمًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ وَالْمُسْلِمِيْنَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوْفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلاَمَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَستَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَستَغِيثُ أَلاَّ تَكِلَنَا إِلَى أَنفُسِنَا طَرفَةَ عِينٍ، وَلاَ أَدنَى مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ، وَأَصلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَينِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوْعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيْعٌ قَرِيْبٌ مُجِيْبُ الدَّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾.